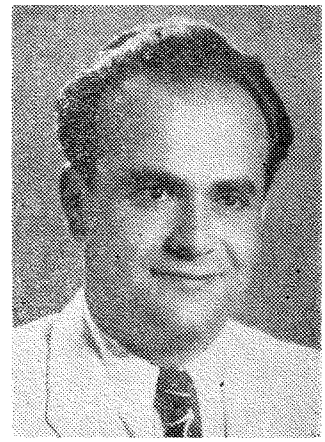

واجبات الناقد

في خدمة القومية العربية ..

بقلم رئيف خوري

ايها الاخوان الزملاء

النقد والقومية العربية .. يخيل لي اننا حين نبحث في الاسس التي ورثتها القومية العربية من التاريخ ، فاننا نستطيع ان نصير الى اتفاق عليها ، وان نوضح هذه الاسس بما لا يترك كثيرا من لبس او ابهام . كذلك يخيل لي اننا حين نبحث القومية العربية الحديثة ، اعني القومية العربية التحررية ، فاننا نستطيع في كثير من اليسر ان نتفق على دقائق معناها السياسي ، ولا يشق علينا ان نستجلي دقائق معناها الاقتصادي ومعناها الاجتماعي

على ان الصعوبة تعترضنا حقا حين نحاول ان نعين معنى القومية العربية فيما يتصل بالفنون والقيم الادبية . ذلك باننا حديثو عهد بهذه القضية ، واحسب اننا لهذا اجتمعنا في ضيافة مصر اليوم ، مصر الجمهورية ، طليعة العرب الى منطلق الحرية والنور .

ايها الاخوان الزملاء ،

ما معنى ان ننقد ادبا يكون حقا معبرا عن القومية العربية ؟ ما معنى ان ننشيء فنا قصصيا وفنا شعريا ، تتبلور فيه حقا خصائص القومية العربية ؟

يخيل لي ان ذلك هو السؤال .

سؤال يثير اعتراضا كثيرا . فأول ما يقال لنا ان الناقد الحق انما ينقد بمقتضى مقاييس فنية هي انسانية مشتركة لا قومية ، وكذلك القاص والشاعر ، اذا صدقا ، فانهما انما يبدعان ادبا لا يعيان من امره سوى انه يعبر عن فكرهما وفنهما ، ولا يعنيهما ان تتبلور فيه خصائص قومية او لا تتبلور .

اقول : هذا اول ما يقال لنا . وليس الرد عليه بمعجز ، **فالمقاييس الفنية التي هي انسانية مشتركة لم تظهر في مكان ما الا متأثرة بالروح القومي ، وبالشكل القومي ، في حدود زمن وبيئة .**

وفي الوقت الذي يتصور فيه الناقد انه انما ينقد بمقتضى مقاييس فنية انسانية مجردة ، فالواقع انه انما ينقد بمقتضى مقاييس فنية قد تأثرت بقوم وبزمن وبيئة ، **فهي انسانية ولكن عبر بوتقة قومية** . وكذلك القول في القاص والشاعر ، فلا بد لصنيعهما من ان تبرز فيه الخصائص القومية حتى ولو لم يعياها او يقصدا اليها قصدا .

ولكن مثل هذا الرد على المعترضين ، لا يحل السؤال ، وانما يطوره من صيغة الى اخرى : كيف السبيل ليصبح نقدنا الادبي نقدا معبرا حقا عن القومية العربية بتلقائية من الناقد ، وشعور منه انه ما زال في الصميم من مقاييس الفن والجمال الانسانية ؟ اجل ، كيف السبيل ليخرج القاص والشاعر ادبا تتبلور فيه خصائص القومية العربية مع احساس كل من هذا القاص وهذا الشاعر انه انما يعبر عن نفسه لا اكثر ولا اقل ؟

اعود فأقول : كيف نستطيع ان نجعل من القومية العربية شيئا حاصلا من طبيعة العمل الادبي نفسه دون ان يكلف الاديب ذاته او فنه عنتا وقسرا ؟

يخيل لي ان هذا هو السؤال فيما يتصل بالنقد والقومية العربية ، بل فيما يتصل بالادب اطلاقا والقومية العربية .

والواقع انني ايها الاخوان الزملاء ، اطرح السؤال ثم لا ارى ان ما عندي يخولني القطع في الجواب .

لا شك ان القومية العربية التي نعنيها هي ظاهرة حديثة جدا . انها جديدة ، تحررية تطورية ، اذا شئنا تعبيرا حسيا عنها في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع ، فلن نجد افضل من هذا الخطاب الاخير الذي سمعناه لسيادة رئيس جمهورية مصر . هي قومية عربية جديدة ، تحررية تطورية ، تمييزا لها مما قد يوجد من قومية عربية ، رجعية واسفاه ! جامدة ومتحجرة (1)

وكذلك احتاجت هذه القومية العربية الجديدة التحررية الى تطوير نقد ادبي جديد متحرر ، يعبر عنها في مجال تقييمه .

ولكن هل ترانا قلنا شيئا كثيرا عندما نقول هذا ؟ لا لعمري .

---

(1) لوحظ علي في المناقشات ان هذا القول قد يفهم منه حقيقة وجود قوميتين عربيتين . والواقع انني قصدت الى اتجاهين مختلفين : رجعي وتقدمي ، في قومية واحدة فالشكر لمن ينهي على هذا الانزلاق في التعبير

فالسؤال باق ، ما عسى ان يكون بالضبط هـذا النقد الادبي الجديد المتحرر الذي يخدم قوميتنا العربية التحررية الجديدة ؟

اكرر عليكم القول ان ليس عندي ما يخولني القطع في الجواب .

ولكني اعلم علم اليقين ان ذلك لن يكون ممكنا كل الامكان الا ان تتجاوز القومية العربية التحررية ، في انفسنا طور الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتصبح وجهة نظر شاملة ننظر بها الى الوجود ، وفلسفة حياة نحياها بملئها في كل نبضة من نبضات وجداننا ، وفي كل موقف نقفه من الاشياء والاحداث ، وفي كل عمل نعمله . الاخلاق الفاضلة ، المعرفة ، الحق ، العدالة ، الموت ، القدر ، الخلود ، الفداء ، الالم ، الحب ، الحقد ، الجمال ، الدين ، الانسانية ، قيمة الشخص الانساني ، هذه كلها ، وسواها مما يجري مجراها ، ينبغي ان تكون فيها للقومية العربية فلسفة حياة، خاصة ، تستمد من القومية العربية نفسها في ماضي التاريخ ، وتفيد من تجارب الشعوب العربية في حاضرها ، كما تنتفع بتجارب الانسانية جميعها ، ثم تتسق في وجهة نظر شاملة تجمع بين وحدة الاتجاه والتنوع في التفاصيل، وترسم فيها سمات القومية العربية ، وتطبع بطابعها حياتنا في واقعها وابعادها . عندئذ ، يمكننا ان نتحدث حديثا ادق واجدى عن هذا النقد الادبي ، المتحرر الجديد الذي تتطلبه القومية العربية التحررية الجديدة . ولم ؟ لاننا عندئذ نكون على بينة من هذه الفلسفة الحياتية (٢) التي تصدر عنها قوميتنا العربية الجديدة التحررية .

ولكن ما بالنا نذهل ؟ اليس واجب النقد نفسه ان يسهم في بلورة هذه الفلسفة الحياتية الخاصة التي تستجيب لحاجات القومية العربية التحررية ؟ بلى

وهكذا نرى ان الامرين متشافعان متلازمان . كلما تقدمت القومية العربية التحررية في تجاربها ازدادت نظرتها الى الوجود وضوحا وتفصيلا واتساقا وغنى ، فازداد النقد مقدرة على السير بهدى وبصيرة في تقييم الاثار الادبية وفي مطالبة الادباء بالاعمال الادبية التي نفتقر اليها . وفي الان نفسه ، كلما ازداد النقد مقدرة على السير بهدى وبصيرة في تقييم الاعمال الادبية ازداد اثره في توضيح الفلسفة وزيادة اتساقها وتطوير نظرتها باستمرار الى وجود متطور باستمرار .

نخلص من هذا كله الى انه من الخطر ، وقصر النظر ، ان نضع قواعد جازمة نرى عليها نقدنا الادبي الجديد ، وندعى لهذه القواعد انها تضمن للنقد اداء رسالته الواجبة في خدمة القومية العربية التحررية .

يكفينا نقطة انطلاق ان ندرك ان النقد الادبي كما عرفناه في الادب العربي القديم ، اصبح لا يفي بالغرض المقصود ، وان كان فيه الكثير مما نستضيء به وينبغي لنا ان نستبقيه ولاسيما ما اتصل منه بما اسميه عبقرية التعبير العربي . كذلك لا بد من الاقرار ان النقد الادبي ، كما عرفته الحقبة الاخيرة من عصر الاحياء والنهضة ، يشكو نقصا بارزا فهذا النقد يغلب عليه حين يتناول الآثار الحديثة ان يتأثر بعلاقة شخصية ، او يتأثر بمجرد شعارات تعجبه يجدها مرددة في الاثر الادبي ترديدا ساذجا فجا ، او يتأثر بمقاييس منقولة نقلا آليا عن محاولات النقد الغربي . الا انه على كل حال قليلا ما يصدر عن تلك الفلسفة الخاصة التي تتبلور فيها سمات القومية العربية التحررية الجديدة . وكذلك شأن هذا النقد فيما يتصل بتقييم تراثنا الادبي القديم . فترى الناقد يدرس فيه البيئة الزمنية والمكانية التي انشيء فيها الاثر الادبي ، او يعمد الى تقييمه بمقتضى مقاييس قديمة او مقاييس مستوردة ، غير انه قليلا ما يصدر في هذا التقييم عن تلك الفلسفة الخاصة التي تتبلور فيها سمات القومية العربية التحررية الجديدة ، والتي بها نستطيع ان نحول عملية التقييم للتراث القديم الى عملية استصفاء لما في هذا التراث من صحة فكرية او روعة جمالية تغذينا اليوم وتعيننا على ان نؤصل قوميتنا العربية التحررية الجديدة فتصبح ، لا انقطاعا ، بل اتصالا ونموا .

وهنا ، سآذن لنفسي ان اعرض لبضعة آراء اصبحت تأخذ بها مناهج النقد الحديث عندنا كلها او بعضها .

من هذه الاراء مثلا ، ان العمل الادبي محض فني ، يريدون بذلك انه لا اخلاقي .

ومن هذه الآراء ايضا ان الشعر العربي مفتقر الى ثورة تعصف بقالبه القديم ، فتتناوله بالتبديل من حيث القالب اي الوزن والقافية ، ومن حيث التعبير .

ومن هذه الآراء ايضا ان كل هذا الشعر الذي انفق فيه الشعراء جهدهم يمدحون غيرهم او ذاتهم ، يعظمون او يتعظمون ، لا خير فيه قط ، فحقه الاطراح .

ومن هذه الآراء ان الشعر القديم تعوزه الوحدة في القصيدة ، فلنجتهد ، اذا ، في شعرنا الحديث ان نراعي شروط الوحدة في مجمل العمل الشعري ، فتكون القصيدة وحدة لا مجموعة ابيات تكتفي من الرابط بوحدة القالب اي الوزن والقافية .

ومن هذه الاراء ايضا ان مقياس قيمة الشعر ان يطيق الترجمة دون ان يفقد وقعه السحري .

ومن هذه الآراء ايضا ان اللغة العربية اليوم تعاني انقساما وتباعدا بين صورتها الفصحى الاصلية ، وصورها العامية في الاقطار العربية . وما دامت الصور العامية هي لغة الشعب ، وما دمنا نكتب للشعب ، فلنستعمل في الاداء الادبي صور اللغة التي يفهمها الشعب اي الصور العامية .

ومن هذه الآراء ايضا ان الادب العربي القديم انما يدرس من خلال اثر الشعوب التي اشترك ابناؤها في انتاجه ، فاذا تناولنا بالدرس كاتبا كابن المقفع او شاعرا كابن الرومي ، ووجدنا خصائص مميزة لهذين الاديبين فخير ما نعلل به

ـ التتمة على الصفحة ١٠٧ ـ

(٢) لا بأس باستعمال هذه الصورة من النسبة الى الحياة تمييزا من الصورة الاخرى الحيوية بعد ما اصبحت تحمل معنى آخر .

واجبات الناقد

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

لهذه الخصائص ان ابن المقفع فارسي المنبت وابن الرومي يونانيه .

ومن هذه الآراء ايضا تجاوز اهمية الموضوع في العمل تجاوزا يفهم منه ان اختيار الموضوع المتصل بالحياة مباشرة لا قيمة له ، وانما القيمة للاخراج الفني للاداء .

وما اريد ، ايها الاخوان الزملاء، ان امضي في استقصاء هذه الاراء . حسبنا منها ما قد ذكرناه .

ولكني اتساءل ، فيما يتعلق بالرأي الذي يفك العمل الادبي عن العمل الاخلاقي ، كيف يمكننا مع نظرة كهذه النظرة ان ننشيء ادبا عربيا يخدم القومية العربية ؟ او ليس من البدهي ان القومية العربية في حاجة الى تنشئة جيل متين الخلق يتحلى قادته بالبصر وبالزهد في المغنم الشخصي ، ويتحلى بنوه بالشجاعة في النضال ، وبالمسؤولية والدأب في العمل ؟ وكيف نربى هذا الجيل ان لم يكن الادب من وسائلنا ؟ فأدبنا ، اذا ، حتم فيه ان يكون خلقيا . وفنيته يجب ان تتجلى في متعته وفي بعده عن الوعظ ، لا في معارضته للاخلاق السليمة ، او في محايدته لها . انى اتساءل امن الضروري ان تكون النماذج البشرية التي يدور عليها ادبنا هي دائما ازواج يخونون زوجاتهم ، او زوجات يخن ازواجهن ، او ابناء يعشقون نساء آبائهم ، او مراهقون ومراهقات تحرقهم الرغبات الجنسية او مثقفون منطوون على انفسهم ينسجون ويحلون خيوط احلامهم واوهامهم في فراغ ، او متعطلون ندغدغ بتصوير فدرهم وبؤسهم شعور الشفقة في نفوسنا ونكتفي بان نتسمت بمجتمع انتجهم . أين هي في ادبنا صورة النماذج البشرية الايجابية البناءة اجتماعيا وقوميا ، وبالتالي انسانيا ؟ اين هو في ادبنا صورة الفلاح المحيي الارض والمهندس المبدع والعامل الخلاق ، والجندي المناضل ، والطالب المهموم بمصير قومه ، ورجل المشروعات الصناعية والزراعية المعزز للانتاج الوطني . والحاكم الذائب في سعادة شعبه، ورب الاسرة المنجب للوطن اثمن ما فيه : فتيانه وفتياته . اين هي صورة هؤلاء جميعا في ادبنا ؟ اين هو نقد الشخصيات السلبية المناقضة لهؤلاء (٣) ؟

واما فيما يتعلق ، باحداث ثورة « في القالب الشعري العربي » وتحرير هذا القالب من ضغطه وضيقه فنحن من الراضين المرحبين ، بشرط ان يبقى الشعر شعرا . ولست افهم بالشعر وزنا واحدا ، يلتزم بتفاعيله التامة او ببعض هذه التفاعيل ، كلا ولا نفهم بالشعر قافية واحدة . بل لسنا نفهم به حتى وزنا او قافية (٤) وانما نفهم به تعبيرا مكثفا ، نفهم به قولا مشحونا تنقلب فيه الكلمة الى فعل ، قولا قد حشدت فيه الطاقة حشدا ، بحيث تجيش في نفس القاريء او السامع قوة فوق ما يجيشه الكلام العادي . ونعتقد ان الشعر العربي له من هذه الصفة حظ خاص ، ونريد ان تبقى له هذه الصفة . يقول ابو تمام :

هم الفتى في الارض اغصان المنى غرست وليست كل حين تورق

فهذا تعبير شعري بنفسه وسواء اتم له وزن ام لم يتم ، وسواء اقامت له قافية ام لم تقم وقد نقول : يبذل الفتى المساعي فمنها ما ينجح به ومنها ما يخفق فيه ، وهو معنى كلام ابي تمام بالضبط . ولكنه ليس بشعر . واحتجاجنا بان الشعب يفهمنا اذا قلنا له : يبذل الفتى المساعي فينجح ببعضها ويخفق ببعضها ، وقد لا يفهمنا اذا خاطبناه بكلام ابى تمام ، ليس باحتجاج مقبول ، لان الآثار الفنية من شأنها ان تستدعي اعدادا خاصا لفهمها ، ونحن مطالبون بان نهيىء للشعب هذا الاعداد الخاص . اننا لا نريد ان يبقى شعبنا على حالته . بل ان رسالة القومية العربية التحررية تدور على هذا المحور بالذات : ان لا يبقى شعبنا على حالته ، بل يرتفع في مستواه الثقافي والمادي . وسنجد فيه عند ذاك من القدرة على ادراك اسرار الجمال في التعبير الرفيع ما يدهشنا ، ويحملنا على طلب الاستغفار لانفسنا لاننا قللنا من مواهب الشعب .

واما فيما يتعلق بشعر المدح والفخر ، فانني لا ارانا على صواب حين ننفى منه الخير نفيا . وسبب خطأنا اننا قد

---

(٣) قد يفهم من هذا الكلام اننا ندعو الى تطبيق ايديولوجية معينة على الاديب ماركسية او غيرها . والواقع اننا لسنا من الذين ينقلون الايديولوجيات نقلا اليا لتطبيقها حيث لا تنطبق، لا الايديولوجية الماركسية، ولا الايديولوجية السارترية الوجودية ، ولا غيرهما . فالماركسية ـ بالنتيجة ـ ايديولوجية حزب يعبر عن مصالح طبقة خاصة . والوجودية السارترية ايديولوجية مثقف هي ردة فعل للايديولوجية الماركسية وقالبها الضاغط . والحالتان لا تنطبقان علينا . فادبنا ادب امة تتفتح وتنطلق وتتحرر .لا مجرد ادب طبقة خاصة ، ولا مجرد ادب للمثقفين الذين يضيقون ذرعا بايديولوجية طبقة خاصة . في ادبنا يجب ان تبرز وجوه جميع القوى العاملة على التحرر الوطني والتجدد الاجتماعي ، مع ما فيها قوى راس المالين الوطنيين واصحاب المزارع وقوى المتدينين وكل القوى الايجابية او التي يمكن ان تحول الى ايجابية . (اضيف هذا التعليق بوحي بعض المناقشات التي دارت في المؤتمر ـ المحاضر)

(٤) كبعض الشعر الطليق الذي انشاه جبران والريحاني .

أخذنا في تقييمه تارة بهذا الذي نسميه صدقا تاريخيا ، وطورا بهذا الذي نسميه لياقات صالونية . قد يكون المتنبي كاذبا في التصوير التاريخي ساعة يقول لسيف الدولة :

الجيش جيشك غير انك جيشه في قلبه ويمينه وشماله
ترد الطعان المر عن فرسانه وتكافح الابطال عن ابطاله
كل يريد رجاله لحياته يا من يريد حياته لرجاله

قد يكون المتنبي كاذبا او صادقا في تصويره هذا . وليكن كاذبا او صادقا . ذلك هم المؤرخين . فاما نحن فنعتبر ان ابا الطيب قد قال هذا القول في شخصية اسطورية ، كتلك التي تعقد عليها الملاحم ، وقد جلا بهذا الكلام صفة من صفات الزعامة الحق : التضحية . الايثار الفداء ، ونحن احوج ما نكون الى هذه الصفة البطولية في الزعامة . ففي قول المتنبي اذا ، غذاء لنا فنحن نحبه ، ونحن نغذى به ناشئتنا ، وليحتج الصدق التاريخي حتى تبح حنجرته .

وكذلك ربما كان عمرو بن كلثوم في عرفنا قد خرق اصول اللياقات الصالونية حين قال لعمرو بن هند :

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا واوعدنا رويدا متى كنا لامك مقتوينا

ولكني ارثى للهزال في مدارك اولئك الذين لا يرون في هذا الشعر سوى رجل يتبجح بما يخرق اصول اللياقة . ماذا ؟ الا ترون معي ان هنا صوت انسان عربي ، او صوت انسان اذا شئتم يتحدى ملكا يعتبر الناس عبيد امه ؟ ونحن احوج ما نكون الى مثل هذه الروح الابية نغذي بها قوميتنا ، فنحن اذا نحفظ هذا الشعر ونتشبع به ونترك اللياقات الرخوة لرجال من جفصين .

واما فيما يتعلق بالوحدة في القصيدة فاننا نوجب رعاية هذا الشرط في شعرنا الحديث شرط ان لا يفهم به ان القصيدة ينبغي لها ان تكون كالمقالة . فالقصيدة شيء والمقالة شيء آخر . وحين لا يفي الشعر باكثر من المقالة فليعف الشاعر نفسه من عناء النظم . ووحدة السياق لا تبرر — حتى في ادق اجزاء العمل الشعري — ان ندخل كلاما ميتا بحجة انه جزء من كل او قطعة في بناء . وقد اخذت على احد شعرائنا المعاصرين ممن اتتبعهم لاني احبهم واحب مغامراتهم في تجارب الشعر الحديث ، اخذت عليه قوله : « وشربت شايا في الطريق . » وزعمت انه كالكلام الميت . ولم يقنعني ان يكون شرب هذا الشاي قسما من تلك التجربة الشعرية التي عبر عنها الشاعر الصديق . ولم يقنعني ان لا حق لي باجتزاء هذه الشطرة الواحدة من بناء شعري بكامله . فقد اضطر المتنبي ان يقول ان جيش سيف الدولة الزاحف لقاء البيزنطيين بلغ بلدة سروج في الصباح الباكر . على انه لم يرض الا ان يعبر عن معناه بهذا النحو المبتكر :

فلم تتم سروج فتح ناظرها الا وجيشك في جفنيه مزدحم

فكان شاعرا .

وثمة مثال آخر ذكرني به هذا القصر الفخم الذي مكننا بفضل الثورة في مصر ان ندخله ، كما دخلناه ليلة امس بدعوة من جمعية الادباء . يقول خليل مطران في قصيدة شعرية وصف بها قبل هذا القصر من قصور الاشراف :

بناء بمال الناس قام جباية ولو ذوبوا تذهيبه لجرى دما!

فلم يكن مطران شاعرا في صدر البيت ولكنه كان كل الشاعر في عجز البيت .

صدقوني انني عشت ساعة ليلة امس اتامل هذا الذهب الذي طليت به قاعة القصر ، واحس انه دم الشعب المصري العربي ، وابتهج لان هذا الدم قد عاد الى شرايين صاحب الحق فيه ، وانتشى بهذه الطاقة التعبيرية المكثفة في شطرة مطران ولو ذوبوا تذهيبه لجرى دما !

واما فيما يتعلق باتخاذ الترجمة معيارا لقيمة الشعر ، نترجمه ثم نرى حصيلة ما يكون في ايدينا منه ، فحسبي ان اطالب اصحاب هذا المذهب ان يدلونا على اثر شعري واحد في آداب الامم قد امكنت ترجمته وحفظ عليه رونقه وسحره . وقد عرض الجاحظ لهذا النحو من التحكم في الشعر ، فلم يترك مجالا لقائل حين قال ان الشعر اذا حول سقط موضع التعجب . ونحن حين نريد اخضاع الشعر لهذا المقياس ، مقياس ما يبقى منه اذا ترجم ، السنا نسيء الى عبقرية التعبير باللسان العربي ، ولكل لسان عبقريته في التعبير . وهذا القرآن ، على انه ليس بشعر كمألوف الشعر ، فلنتخذ لنا منه الاية مثلا : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون .) ثم فلنعتبر اي روعة اكتسبتها الاية حين وقفت عند مقطعها

الجميع على موعد مع

قفزة التطور في الصحافة العربية

في العدد الثاني من سلسلة

« اضواء من الثقافة »

احتياج

١ ـ كيف الوصول ..؟

العمر قد يروح
وينتهي الزمان
يا نور عينيه ..
لكن أمنيه
بالصدر مطويه
تظل لا تبوح !
وكيف يستطيع ..
ذراعي الصغير
كحبة الشعير !
ان يبلغ القمرْ ؟

٢ ـ لكنني بشر !

وددت لو أكون ...
كمدية مسنونة الاطراف ..
لم يحوها بشر !
فأرتمي على الصعاب لا اخاف
أصارع القدر !
حتى يكون لي ..
جمالك النضر !
وددت لو اكون ..
وكيف استطيع ان اكون ..
وليس عندي ساعدا شمشون
ولا غنى قارون
بل انني بشر
كسائر البشر
اود ان اعيش !

٣ ـ لكنه النصيب !

كم مرة رحلت رحلة الضنى ..
عبرت الف غابه ..
فتشت عنك فيها
اوشكت ان اصل ! ..
لكنه النصيب !
فالعفو والسماح ..
ان كنت لم اصل ..
ففي يدي جراح ..
من رحلة الضنى
وعسرة المسير !

٤ ـ وكوكبي بعيد !

القيت بالبذور ..
والنيل في التمام ..
وقيل مر عام
ولم ار النوار في الحقول!
فقلت ربما لم احسن النظام ..
ذهبت عند شيخنا فقال : لا عليك ..
تحتاج ساعدين
ودعوة تنساب في الصباح !
فقلت سيدي ..
ومن سيدعو لي ؟..
من سوى القمر !
وكوكبي بعيد !
وعدت في المساء ..
ومهجتي تنوح
فالعمر قد يروح
وينتهي الزمان
يا نور عينيه
لكن امنيه
بالصدر مطويه
تظل لا تبوح !

القاهرة — **كمال عمار**

الاخير : (وكذلك يفعلون) ، ثم فلنعتبر اي طاقة تعبيرية تفقدها الاية اذا رحنا نقول : ان الملوك اذا ادخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة ، وهذا دأب الملوك في كل زمان ومكان . فاذا كانت الاية قد فقدت هذا القدر من طاقتها التعبيرية بمجرد تحويل بعضها من اللسان الى اللسان نفسه ، فانى لا ارى كيف نستطيع ان نسلم باتخاذ الترجمة من لسان الى اخر مقياسا لتقييم الشعر او تقييم حتى الاثار الادبية عامة .

وأما فيما يتعلق بالمفاضلة بين العامية والفصحى ، فاننا نقول ان القومية العربية ينبغي لها في الاداء الادبي ان تؤثر الفصحى ، فهي لغتنا القومية العربية الجامعة ، لا لغة الاها ، والذين يدعون للعاميات هم الذين يريدون فصم عروة حيوية من عرى وحدة القومية العربية . وما أحسبنا نريد ان نمشي في ركاب هؤلاء . والاحتجاج بأن الشعب لا يفهم الفصحى ذريعة ينبغي لنا ان نقضي عليها ونستطيع ان نقضي عليها بتعليم الشعوب العربية لغتها الفصحى الجامعة مبتدئين بتذويق جمال التعبير بالفصحى ، مطالبين ادباءنا بأن يبدعوا ادبا مثقفا وفنيا يستهوي نشئنا النابت . واننا لن نستطيع ان نبني قوميتنا العربية (٥) الجامعة اذا أذنا بأن تصبح

(٥) يضيق الوقت في هذا المقام عن التبسط في خطأ الداعين الى العاميات . انهم يحتجون بأن العاميات هي لغة الشعب العربي ، كأن الشعب العربي ، بالضرورة جامد اللسان على حالة واحدة ، لا يمكن اكسابه الفصحى بتعليمه اياها تعليما منظما . ويقيس هؤلاء العربية الفصحى بمصير اللاتينية ، غير مدركين ان الذي فكك اللاتينية انما هي الروح القومية التي فرقت الناطقين بها ، بينما الروح القومية تجمع اليوم الناطقين بالعربية حول فصحاهم . يضاف الى ذلك ان الاسباب الفاعلة في التاريخ ، عصر تفكك اللاتينية ، كانت تعمل عملها على غير وعي من الشعوب وقادتها ، بينما اكتسبت الشعوب وقادتها في عصرنا صناعة جديدة هي عمل تاريخهم بأنفسهم ، بالتحكم الواعي في ظروفه وقوانينه . فالعرب اذا شاؤوا ان تحيا فصحاهم كل الحياة ، استطاعوا ذلك بنشر تعليم الفصحى في ابناء الشعب ،ونشر التعليم كله بالفصحى ، وزيادة غناها بما يضعون بها او ينقلون اليها .وعلى كل حال ، انها معركة ليس لنا ان نستهين بحدتها وشدتها بين الذين يخدمون القومية العربية خدمة واعية ، والذين يقفون منها موقفا معاديا بوعي او لا وعي . وان من واجب هذا المؤتمر ان يفكر في طرق عملية لاكتساب النصر في هذه المعركة الخطيرة . وليعذرنا الكتاب بالعاميات ، فان اتجاه الفصحى نحو التيسير (نحن لا نكتب اليوم بلغة الحريري ، ولا ناصيف اليازجي) واتجاه العامية نحو التهذيب والاخذ من الفصحى ، يحتم ان يكون ادبهم لمرحلة معينة . ان شعبا يقرأ كله ، وبالتالي يفهم الفصحى الميسرة ، لن يجد لهم مبررا لاستعمال وسيلة اداء غير الفصحى الميسرة .

العاميات وسيلة الاداء الادبي . ومن كان يرى في الفصحى نقصا فأقل ما نقول له : ان عليه ان ينتظر حتى يستكمل بناء القومية العربية الجامعة ، ثم فليدعنا ـ اذا شاء ـ الى لغة عربية عامية شرط ان تكون واحدة . وحدة اللغة ،هذا هو المهم . فلا قومية بلا وحدة في اللغة !

وأما فيما يتعلق برد خصائص الادباء الى اصلهم الجنسي قبل الاستعراب ، فاننا نقبله حين يقبله العلم وحين لا يراد به شعوبية ترمي الى جحد فضل العرب بتجريدهم من كل من ضوى الى قافلة ادبهم في عصور تاريخهم . والعلم حين يدرس اديبين كابن المقفع وابن الرومي مثلا ، يثبت انهما مدينان في خصائصهما لهذا العصر العباسي الذي كان بحسناته وسيئاته مرحلة من المراحل في تاريخ الادب العربي . ولا تكفي فارسية ابن المقفع ولا يونانية ابن الرومي لتفسير عبقريتهما ، وانما يستطاع تفسير عبقريتهما في حدود هذا العصر العباسي الذي تلاقت فيه تيارات متعددة من عربية وفارسية ويونانية وهندية واسلامية ومسيحية ومجوسية وغيرها ، وتفاعلت لتؤلف الثقافة العباسية العربية .

وأما فيما يتعلق بتهوين خطر الموضوع في قيمة العمل الادبي وارساء الاهمية كلها على الاخراج والاداء ، فرأي لا يرضاه مذهب في النقد يراد به خدمة القومية العربية . لسنا نريد التضييق على الاديب العربي فيما قد يؤثر من موضوعات وشعارنا في هذا الامر أن كلا ميسر لما خلق له . ولكننا جميعا نذكر قصة زنطيب امرأة سقراط ونضحك . يروى ان المسكين حين حكم عليه بشرب السم جعلت امرأته تصيح به : يقتلونك ولم تشتر لي القبقاب الذي وعدتني به ؟ اننا على يقين ان القومية العربية لا يمكن قتلها كما قتل سقراط بالسم ولا بغير السم ، لا نزال نناشد الاديب العربي بأن لا يقف موقف زنطيب ، فلا يكون له هم سوى القبقاب بينما تشغل قومه وتشغل الدنيا احداث جسام حاسمة في تقرير المصائر . ان الموضوع في الادب هو دليل رصانة التجربة التي يتمرس بها الاديب ، اهي تجربة عنته شخصيا ولها معنى بالقياس الى حياة امته ، ام هي تجربة فرد منطو على ذاته . لقد لوحظ بحق ان ادبنا العربي القديم والحديث تكثر فيه تجارب الافراد المنطوين على ذواتهم ، فلا بأس بأن يخرج اديبنا العربي من « شرنقته » كما يقول مفكرنا وفناننا الخالد عمر فاخوري .

ايها الاخوان الزملاء ،

ترون ان هذا الذي استطعنا ان ننتهي عنده في غرض النقد والقومية العربية جد يسير واذا كان لي ان أؤكد على شيء ، فهو ان القومية العربية في حاجة الى فلسفة حياة نحياها ، ونظرة شاملة الى الوجود . ومن واجب الناقد العربي ان يساهم في رسم هذه النظرة القومية العربية التحررية المتطورة ليستطيع على ضوئها ان يقيم ادبنا القديم والحديث تقييما فنيا وفكريا وخلقيا في مصلحة قوميتنا النامية .

وشيء آخر اريد ان اؤكد عليه ان عملنا كله يبقى لقلة النخبة ـ اذا شئتم ـ ضيق المدار ما لم نحمله الى الشعب وندخله في وعي الشعب ، شرط ان لا نتخذ من مستوى الشعب وهو في حالة راهنة معينة ذريعة لانتاج ادبي ركيك . فلنكتب للشعب اذن كأدق ما نستطيع النقد ،ولننتج له ادبا كأرفع ما تبلغ اليه طاقتنا في انتاج الادب ، فان لم يفهم الشعب اليوم فهم غدا . وان لم يفهم بنفسه اعانه على الفهم هؤلاء الوسطاء الذين نسميهم النقاد ، وان استعذتم منهم بالله في احيان . فأما اذا آثرنا ان نتجه الى الشعب بكتابة نعلم ان الجمال والاتقان يعوزانها في الشكل والمضمون فلنؤمن ان حظ ادبنا ونقدنا من البقاء يسير ،لان الشعب سرعان ما يتجاوز الدور الذي يجد به متاعا وغذا في آثارنا ، فتهمل .

اني لأرحم الاثر الادبي الذي يستطيع القارىء ان يستنزف ما فيه بقراءته مرة واحدة . ينبغي في الاثر الادبي الرفيع ان يصدق فيه قول ابن الرومي في وحيد :

أهي شيء لا تسأم العين منه أم لها كل ساعة تجديد؟

وليؤذن في الختام ان اتقدم من هذا المؤتمر الكريم بتوصية عامة :

« بالنظر لأهمية النقد في توجيه الادباء شطر الاتقان لفنهم ، والاحتفال لهموم امتهم ، وبالنظر لاهمية النقد في الاغراء بالمطالعة ، وفي توجيه القراء الى فهم آثار ادبائهم وغربلتها وتقييمها ، يصار الى انشاء او تبني مجلة ادبية قومية عربية للنقد ، يتولى انشاءها ، او يتبناها ، اتحاد عام للادباء العرب . »

رئيف خوري

صدر اليوم

التعايش السلمي

بقلم

زعيم حزب العمال البريطاني

هيو كيتسكل

- أعظم حدث في السياسة المعاصرة وأدق مرجع في حرب القناة ، هنغاريا والحلف الأطلسي ، وأكاذيب خروتشف
- التعايش السلمي عرض مرتب لأحداث العالم السياسية المعاصرة ، والصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية.

اطلبه من جميع المكتبات وباعة الصحف

دار النشر للجامعيين

من منشورات

دار النشر للجامعيين

في جميع المكتبات :

نوافذ على الشرق والغرب

جوزيف باسيل

دار النشر للجامعيين

السعر: ٢٠٠ ق.ل.